باسم عبد الحميد حمودي

2024 - 1937

الرأي

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الادارة
رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5672) السنة الحادية والعشرون
الخميس (16) أيار 2024

العراقيون
من زمن التوهج
"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رحيل الإنسان الباسم

علي حسين

هذا التركيب الفريد الذي يضم بين عناصره طيبة الإنسان العراقي، وشغف الكاتب بعوالمه، واستقامة وعفة الصداقة، وحنو الأب، والايمان بالثقافة حتى اللحظة الأخيرة من الحياة، وإعلاء قيمة المحبة. هذا التركيب العجيب احتواه شخص كانت الابتسامة لا تفارق وجهه لتختلط هذه الابتسامه بأسمه الذي اصرت والدته أن تسميه " باسم "، وكأنها كانت تعلم ان الابتسامة لن تغادر ملامحه، فمن النادر أن ترى باسم عبد الحميد حمودي من دون ابتسامته المتميزة.

واستميحكم عذرا ان تختلط مشاعري الذاتية مع تقييمي للراحل الكبير وانا اكتب عنه، ولكنني اظن ان الحديث يلمس جانبا ذاتيا، فقد عرفته منذ اكثر من ثلاثة عقود كان فيها هذا الانسان يقدم للآخرين افضل ما في دور المعلم من الحنان والاهتمام والرعاية.

يقول باسم عبد الحميد حمودي في اخر كتبه " العراقي الدكتور داهش " ان بغداد ظلت دوما موحية بتفاصيل كثيرة، ولهذا لم يكتب عن بغداد باعتبارها ارثا تاريخيا وإنما كان يكتب عن القيم والمعرفة والحضارة، تفاصيل مدينة حاول باسم عبد الحميد ان يتفرغ لها ولحكاياتها، بل نستطيع القول انه عاش لها.

تربى باسم في بيت يعج بالكتب واحاديث الادب فوالده الاستاذ عبد الحميد حمودي تخرج من دار المعلمين العالية عام ١٩٢٩ وكان من خريجي دورته الفنان عزيز علي وطاهر يحي رئيس الوزراء في عهد عبد الرحمن عارف، وعندما عين معلما في المدرسة الشرقية في الحلة كان من ابرز طلبته علي جواد الطاهر الذي خصص فصلاً من كتابه " اساتذتي " للحديث عن استاذه " عبد الحميد حمودي "، وفي متوسطة الحلة ارتبط بصداقة مدير المتوسطة الاديب الشهير ذو النون ايوب واستاذ اللغة العربية محمد مهدي الجواهري، في هذا الجو المشحون بالادب والفكر نشأ باسم عبد الحميد حمودي الذي بدأ حياته الادبية قاصا صدرت له عام ١٩٥٨ مجموعة قصصية تحمل عنوان "أنا عاطل وقصص أخرى " وجاء على غلافها أنها " لوحات قصصية غرامية إنسانية واقعية "، وكان قبلها قد نشر عددا من المقالات في مجلتي الاديب والاداب اللتان تصدران في بيروت.

لم يشأ باسم عبد الحميد ان يحرمنا في الاشهر الاخيرة من حياته من كتاباته، وكان استمراره في النشر والتأليف يختلف عن استمرار غيره، فقد بدأ في الفترة الاخيرة وكأن هناك حلما يطارده، كأن عالم قديم يدعوه فلا يملك إلا ان يلبي الدعوة وأن يستمر في الكتابة كي تصل كلماته الى الناس. لقد مارس الصحافة بادوات الباحث، وكتب النقد الادبي باصرار الصحفي، واستهوته الرواية من اجل ان تصل رسالته وموضوعه الى اوسع دائرة من القراء ليمتعهم في معظم كتاباته بحكمة انسانية يقظة، تنم عن طيبة وذكاء ومحبة اصيلة للانسان، وكنا نتابعه وقد تجاوز الثمانين يتمتع بقدرة على إدراك العصر، ومتابعة اشكالياته، وروايته الاخيرة " الباشا وفيصل والزعيم " يدعونا فيها الى اعادة التفكير في نظرتنا الى التاريخ المعاصر والدعوة الى استخلاص العبر منه وهذا دليل على اهمية دور المثقف والذي حاول ان يلعبه طوال حياته، ان يكون مثقفا وطنياً.

استاذ باسم.. لكم نحتاج اليك في هذا الزمن، لكم نحتاج الى اضاءتك التراثية التي تنور العقول، وقلمك الهادئ.. لكنك اثرت الرحيل لنفتقدك، لكن صورتك ستظل شاخصة تذكرنا بالحكيم البابلي الذي لا يزال يجلس منذ الآف السنين، صامتا صامدا، وقورا، شاهدا، شاخصا نحو المستقبل، كذلك كنت ايها الباسم، وكذلك رحلت..

باسم عبد الحميد حمودي

أحمد عبد الحسين

برحيل الأستاذ باسم عبد الحميد حمودي أول من أمس، تفتح ثغرة كبيرة في الثقافة العراقية كان يملؤها بقامته السامقة بحثاً وقراءة واستقصاء في مجال دراسات التراث الشعبي، وهو مجال يقلّ المتخصصون فيه عندنا برغم أهميته وضرورته.

كل من عرف الراحل حمودي أو قرأ له لا يمكن إلا أن يعجب بحيويته ونشاطه وملاحقته الجديد في مختلف صنوف الثقافة. وبقيت هذه الحيوية سمة من سماته الأجلى حتى وهو في سنّ السابعة والثمانين، فقبل وفاته بأقل من أسبوع صدر له كتابه الضخم "في صندوق الولايات" وهو يتعلق بشغفه الأثير "الفولوكلور العراقي"، وهو شغف رافقه منذ صباه إلى أن أصبح أيام الثمانينيات رئيساً لتحرير مجلة "التراث الشعبي".

لحمودي عشرات الكتب التي شملت بالإضافة إلى الدرس التراثي روايات وقصصاً ومقالات في النقد الأدبيّ، إضافة إلى نتاجه الصحفيّ الذي باشره منذ أول مقال له سنة ١٩٥٤ ولم ينقطع إلى اليوم، حيث يضمّ هذا العدد الذين بين أيديكم من "الصباح" آخر مقال للراحل الكبير أرسله لنا قبل يومين من وفاته.

استثمر حمودي فاعليته وعلاقاته مع رموز الوسط الثقافي العراقي في التوثيق لأبرز مفاصل الحياة الثقافية، ففي كتابيه "ديوان الأقلام" و"رحلة مع القصة العراقية" وسواهما يؤرخ لجزء هامّ من الشعر والسرد العراقيين. كما أنّ كتابه "القضاء العرفي عند العرب" هو أوّل كتاب بحسب علمي يعنى بتكوين معجم للاصطلاحات القضائية العرفية في التراث العربي قديمه وحديثه.

النعي الذي توجّهت به الرئاسات الثلاث لأسرة الراحل وقرّائه ومحبيه يكشف عن الأثر الذي قدّمه طوال حياته المديدة، والإسهام المميز له تعليماً وبحثاً وحضوراً في المشهد المعرفي والثقافيّ العراقي.

تفتخر "الصباح" بأنّ الراحل الكبير كان من أعمدة الصحيفة ومن كتّابها الدائمين، فلم يكن يمرّ أسبوع من دون أن يكون له مقال أو عمود يضيء به صفحات الثقافة أو صفحة "ثقافة شعبية". وعزاؤنا أنّ إرثه المعرفي باق بيننا في كتبه ومقالاته الوفيرة.

رحم الله أبا شهرزاد فقد كان مثالاً حياً على ما يمكن أن تفعله الثقافة حين تكون ممتزجة بخلق عالٍ وروح سامية.

شيء عن الراحل باسم عبد الحميد حمودي وأسرته

رفعة عبد الرزاق محمد

كنت ـ ومازلت ـ امني النفس ان ارى الاستاذ باسم عبد الحميد حمودي وقد نشر مذكراته، لتطلع الاجيال الطالعة على التجربة التربوية والادبية الثرية والمليئة بالذكريات والصور التي اصبحت اليوم ملكا لتاريخنا.. لقد ولج الاستاذ باسم حميد حمودي الحياة الثقافية بكل ابعادها منذ ستين عاما فعرف الشيء الكثير عن اسرارها وتفاصيلها..فضلا عن انتمائه لاسرة ظهر فيها العديد من الاسماء القريبة من هذه الحياة،

وتجربته السياسية القصيرة بكل ما تحمله من مرارة وعبر، فما احوجنا الى هذه المذكرات التي طالما حرضت الاستاذ باسم على تدبيجها كلما التقينا.

ابو باسم، عبد الحميد حمودي مال الله النعيمي من رجال التربية المشهورين في تاريخ المعارف العراقية، وترك الكثير من الشواهد التربوية المرموقة في مناطق الفرات الاوسط ولم يزل تلاميذه يلهجون بحمده في كل حين، ومن طبيعة الاشياء ان يكون تأثيره على نجله كبير..

ولد عبد الحميد حمودي (ويسموه في الكرخ حميد) في بغداد سنة ١٩٠٧ وامتد به العمر حتى وفاته وقد تجاوز عمره المئة عام. وكان ابنه البكر صاحبنا باسم المولود في ربيع ١٩٣٧ ثم هاشم خريج كلية الحقوق وقد تقلد وظائف تعليمية وادارية مختلفة، وسبع بنات من فضليات سيدات الكرخ.. وكثيرا ما ذكر الدكتور علي جواد الطاهر عندما يتحدث عن بداياته في المدرسة واساتذته المرحوم عبد لحميد حمودي بكل تجلة وتقدير، ومما ذكره في المدرسة الابتدائية في الحلة واسمها المدرسة الشرقية وهي من اشهر مدارس الحلة في العشرينيات، ان مرشد الصف كان المعلم عبد الحميد حمودي الذي نقل الى المدرسة الشرقية التي كانت تضم اشهر المعلمين واقدرهم وعلى راسهم الشيخ عبد الرزاق سعيد الذي تحدث عنه مؤرخو الحركة الفكرية في الحلة وعن فضله كثيرا. يقول الطاهر: جاء عبد الحميد حمودي واسمه يعرفه الكثيرون لحدث ادبي طريف، اذ فاز هذا المعلم بجائزة ادبية قدرها ٧٥ دينارا وهو حدث جسيم اين منه راتب المعلم وهو في حدود عشرة دنانير شهريا، انه يعادل تماما راتبا شهريا لمتصرف من الدرجة الاولى!

يصفه الطاهر فيقول: معلمنا عبد الحميد من بغداد محلة الست نفيسة كما حفظناه طويل القامة انيق الملبس هادىء الطبع يعامل التلاميذ معاملة اولاده... الخ (فصول ذاتية من سيرة غير ذاتية ص٣٦). وقد تنقل عبد الحميد حمودي بين مدارس الفرات الاوسط حتى اصبح مديرا يشار له بالبنان، وكان يومذاك من التقاليد ان يصحب الموظف الحكومي عائلته في حله وترحاله. وعندما كان حمودي مديرا لمدرسة السماوة في النصف الاول من الاربعينيات ادخل ابنه البكر باسم المدرسة فعرف هذا الطالب بين اخدانه بابن المدير، لكن هذا الابن لقي مرة عقوبة شديدة من والده المدير بصفعه امام الطلاب. اكمل باسم الثانوية في ثانوية الكرخ ثم دخل كلية التربية التي ورثت دار المعلمين العالية وتخرج فيها سنة ١٩٦٠.

وبعد تخرجه دخل عالم الوظيفة الحكومية، عين مدرسا في ثانوية الصويرة للبنين بعد عدة وظائف غيرتعليمية، واستمر بسلك التعليم لسنوات طويلة وتنقل بين مدارس العراق كأبيه (ومنها مدارس الفرات الاوسط التي يحمل عنها ذكريات ثرية). وفي كل هذه المراحل كان لصيق الحركة الثقافية حتى نقلت خدماته من التعليم الى وزارة الثقافة والاعلام سنة ١٩٨٠فتولى عدد من المناصب في المجلات الصادرة عن الوزارة ومنها مجلة (التراث الشعبي) التي استمر بتحريرها الى سنة ٢٠٠٠.

اهتم باسم عبد الحميد حمودي في حياته الفكرية بادب القصة ونقدها والتراث الشعبي (الفولكلور)، فعن الاخير وجدت له مقالات نفيسة في مجلة الاديب البيروتية نحو سنة ١٩٥٧ تتعلق بالادب الشعبي. اما ادب القصة فيبدو ان الاستاذ باسم حمودي بدأ كاتبا للقصة فاصدر اول مجموعة قصصية باسم (انا عاطل وقصص اخرى) سنة ١٩٥٨ (بغداد، مطبعة الشباب، ٤٠ صفحة) نشرها له المرحوم عبد العزيز القديفي الذي كان قريبا من الكتاب والادباء ويحاول مساعدتهم على الرغم من فقره المدقع. اما النقد الادبي فقد اصدر له اتحاد الادباء العراقيين كتاب (في القصة العراقية) سنة ١٩٦٠ (٨٥صفحة). ويجدر القول ايضا ان عام ١٩٥٥ شهد ظهور اول مقالة له في الصحف وهي خاطرة عن فراغ الطلاب في العطلة نشرها في جريدة (بغداد) لصاحبها خالد قادر ثم اخذ يكتب في جرائد مختلفة كالبلاد والمجتمع والحرية والاستقلال وسواها.

كنت اود في هذه المقالة السريعة الحديث عن مجموعة اسر بغدادية كرخية ترتبط بصلات نسبية عن طريق عميد هذه الاسر في اوائل القرن المنصرم بافي الجبوري الخانجي، اذ انح مودي وهو جد الاستاذ باسم كان يتولى مختارية محلة الست نفيسة قبل الحرب العالمية الاولى وزوجته (مكية) كبرى بنات بافي الجبوري، وام باسم هي ابنة عبد الرزاق محمود البراك. وقد ظهرت في هذه الاسر اسماء معروفة كانت لها التأثير بشكل او بآخر على مسيرة الاستاذ باسم عبد الحميد كالصحفي الكبير عبد القادر البراك والمناضل الشهيد عدنان البراك والاديب الكاتب محمود العبطة وشقيقه الوزير محمد العبطة والطبيب قاسم البزركان وسواهم، الا اني تركت الامر الى حديث لاحق.

أسرة الاستاذ باسم عبد الحميد حمودي

أسرة الاستاذ باسم عبد الحميد حمودي من الاسر البغدادية القديمة، سكنت محلة الست نفيسة الكرخية، حتى ان جده حمودي مال الله النعيمي كان مختارا للمحلة في مطلع القرن الماضي وتزوج من ابنة احدى الاسر العريقة والشهيرة في الكرخ هي اسرة (بافي) التي تتصل بالعديد من الاسر البغدادية عن طريق المصاهرة كما ساوضحه بعد قليل.

بافي اسم اطلق على مصطفى داود الجبوري المشهور ببافي الخانجي، وكان خانه من الخانات الكبيرة في محلة راس الجسر في المكان الذي تشغله ساحة وقوف السيارات امام دائرة التقاعد العامة. وهو من ذرية عالم بغدادي كبير كان احد شيوخ الشيخ عبدالله السويدي واحد خلفاء الشيخ خالد النقشبندي (مولانا)، وهو الشيخ سلطان بن ناصر الجبوري، واسمه الكامل (اي بافي) مصطفى بن داود بن سالم بن محمد بن حسين بن سلطان بن ناصر الجبوري، وكان الناس تطلق عليه بافي الداود كما تطلق على شقيقه هندي الداود. وهندي هذا ابو رشيد ورفعت هندي.

ولبافي ولد وحيد اسمه عبد الكريم بافي، ولهذا نشأ مدللا فادخله ابوه الى افضل المدارس وارسله الى السوربون لنيل شهادة القانون، لكنه لم يتجه الى عمل ابيه، ودخل دوائر الدولة.

وله صلات تجارية ومصاهرات واسعة عن طريق بناته. لعبدالكريم بافي ثلاثة اولاد هم صائب الوزير المفوض المتقاعد في الخارجية، وغالب المحامي المتقاعد (وقد توفي في التسعينات)، وظافر الموظف المتقاعد. اما بنات بافي:

الاولى (مكية) زوجة حمودي مال الله النعيمي (جد باسم عبد الحميد حمودي) واولادها عبد المجيد وعبد الحميد ورشيد وشاكر. عبد الحميد (او حميد) كان تربويا مرموقا، عمل معلما ومديرا للعديد من المدارس في منطقة الفرات الاوسط والناصرية، تتزوج من السيدة نعيمة عبد الرزاق، ولها باسم وهاشم (محامي) واولاد ماتوا صغارا. اما بنات حمودي مال الله:

مسعودة زوجة ابراهيم جاسم العبطة، المعماري البغدادي الشهير (١٩٥٠) ومن اثاره: جامع حنان وجامع الشيخ صندل وبيوت الظاهر والمميز واشترك في تشييد باب وزارة الدفاع في الباب المعظم. وهو والد محمود المحامي والاديب الكاتب المعروف، ومحمد المحامي ووزير العدل في الستينيات، وطه.

صبيحة حمودي مال الله، زوجها عبد الله حمد البراك، واولادها، عدنان، الشخصية الشيوعية البارزة الذي قتل في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، وعصام. وعدنان البراك له (مازن) من زوجته سهيلة حمودي السعدي شقيقة وزير الصناعة السابق علمر حمودي السعدي. وساذكر بعد قليل صلته باسرة البراك.

رشيدة ابنة حمودي مال الله زوجة احمد الياقوت.

الثانية من بنات بافي هي امينة، زوجة محمد حسين البازركان ابو الدكتور قاسم البازركان وهو ابنه الوحيد.

الثالثة صفيه زوجة رفعت هندي (ابن اخو بافي) ولها وحيدها جودت هندي القاضي والمحامي.

الرابعة عطية وزوجها عبد الرزاق محمود البراك ابو سامي وطالب وعلي.

مدينة زوجة حمد البراك ابو عبدالله (ابو عدنان) وعبد الرحمن والد مقبل ومهند البراك، وعبد القادر البراك الصحفي والكاتب المعروف (زوجته سعدية عبد الرزاق البراك) ووالدة صالح وناصر وعامرة (فهي ابنة عمه وابنة خاله ايضا).

العراقيون
من زمن التوهج
"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

باسم عبد الحميد حمودي:
النشاط الثقافي شاحب ومتشظٍ والمثقفون يعيشون في جزر متباعدة

حوار/ علاء المفرجي

الكاتب والناقد والباحث باسم عبد الحميد حمودي ولد في الديوانية من عائلة بغدادية، أنهى دراسته الابتدائية والثانوية فيها،ثم أكمل الدراسة الجامعية سنة ١٩٦٠م في كلية التربية قسم التاريخ، ثم عُين مدرساً في الدغارة، ثم عاد إلى بغداد ليستقر فيها لغاية يومنا هذا.

وأول مقال نشره بعنوان (الفراغ) في جريدة (بغداد المساء) سنة ١٩٥٤م، أشاد بدوره الناقد الراحل الدكتور علي جواد الطاهر وعبد الجبار عباس، تولى رئاسة تحرير مجلة الأقلام التي تُعنى بالأدب الحديث، وكذلك رئاسة تحرير مجلة الثقافة الأجنبية التي تعنى بالثقافة والفنون بالعالم. وعمل محرراً في مجلة التراث الشعبي ثم رئيساً لتحريرها، وسكرتيراً لتحرير مجلة الرواد التي تعنى بأدب الرواد، ومسؤولاً عن صفحة التراث الشعبي في جريدة (المدى) ونشر العديد من البحوث والدراسات، وكان من أبرز مؤلفاته "عادات وتقاليد الحياة الشعبية العراقية" و (إعداد وتقديم). والزير سالم" و"تغريبة الخفاجي عامر العراقي". و"سحر الحقيقة. وكتب عن شخصيات ودراسات في التراث الشعبي."

كان للمدى معه هذا الحوار

– لقد قيل الكثير في قضية القراءة وضرورتها للكتابة وحيويتها..هذا ما قلته للناقد شكيب كاظم الذي قال: "لم أجد أحداً كان ينجز قراءة كل ما يقتني من كتب سوى المرحوم أبي أذ كان يذهب بين آونة وأخرى الى صديقه قاسم محمد الرجب ليعود بما لذ وطاب من كتب، ولا يذهب إليه ثانية إلا بعد أن يأتي عليها كلها قراءة، لذا لم يكن في مكتبته كتاب لم يقرأه" هل من هذه النشأة بدأت في عالم الحرف؟

• من بديهيات التكوين الثقافي للناقد والقاص والشاعر وسواهم أن يقرأ أولا قبل أن يتشيأ أذ لا وجود لمبدع أو حتى كاتب عادي من فراغ... من بياض فارغ.

كانت المنافسة بيننا نحن طلبة الصف الأول–أ– في ثانوية الكرخ عام ١٩٤٨ أن نزداد قراءة... أن نفرّغ كتب مكتبة الثانوية تدريجياً ونقرأها... ونناقش ما نقرأ في تجمعاتنا وفي درس الأنشاء الذي كان يحرص عليه أستاذنا شاكر الحبوبي.

وكان من معلميّ مدرسة الزوراء الابتدائية من شجعني أيضاً على القراءة وجعلني مشرفاً على مكتبة المدرسة ومسؤولاً عن إعارة الكتب للطلبة وهو أستاذ العربية المرحوم صالح الحكيم.

كان من حسن حظي أني نشأت بداية في بيت إنسان مثقف له مكتبة بيتية مرموقة هو المرحوم والدي،وكانت والدتي معلمة سابقة تقرأ أيضاً ولكن ليس بقدر انشداد الوالد للقراءة كان صديقاً للجواهري الكبير وبحر العلوم وذي النون أيوب وحسين الفرطوسي والشيخ مهدي مقلد وهو صديق حميم للشاعر محمود الحبوبي... وله صداقات أخرى كشف عنها قبيل وفاته بفترة المهم أن الوالد كان حافزاً للقراءة بقدر ماكانت شلة (الأول المتوسط) دافعاً وهي مكونة من الطلبة: صادق الصائغ ونزار عباس وشاكر السعيد ونزار شاكر المفتي(الطبيب) و مهندس النفط حميد أحمد الجودي ومهندس الطاقة راجح جاسم العاني وقحطان جاسم الأمين والماليان الكبيران طارق عبد الرزاق قدوري وزهير الخانجي وسواهم.

بعضهم دخل عالم الصحافة والأدب وبعضهم انصرف الى تخصصات أخرى مثل النطاسي نزار المفتي والمهندسين حميد الجودي وراجح جاسم وأستاذ اللغة الكبير طارق الجنابي.

القراءة اللذيذة تلك التي ينشد إليها المرء قبل كل شيء قبل أن يخربش كلماته الأولى وهي قراءة الصفاء والتعلّم و الدهشة،القراءة قبل كل شيء والانشداد الى الكتاب هما أساس الدخول الى عالم الكتابة والفكر والأبداع، لذا تجد من يدخل عالم الكتابة بواسطة دكاكين النشر اليوم وهو يخطئ في اللغة وفي بناء الجملة ويزداد فجاجة في التعبير حيث يؤذي ذاته ويؤذي حركة الفكر والثقافة وهو يبني في فراغ شيئاً غريباً ممجوجاً كنا نجاور بيت المعمار الكبير الحاج إبراهيم جاسم العبطة زوج عمتي الكبرى ووالد الناقد محمود العبطة والمحامي محمد العبطة

وكانت مكتبة محمود العبطة الكبيرة خير معين لي للدرس والتعلّم كما كنت أحصل على بعض الكتب الجديدة التي لاتصل العراق من مكتبة الاستاذ عبد القادر البراك صاحب جريدة (البلد) وزوج خالتي السيدة سعدية عبد الرزاق وابن عمّها والصديقة الحميمة للسيدة سميرة عزام القاصة الفلسطينية المعروفة المحررة في جريدة الشعب، وقد كنت أنشر عندها في ملحق الشعب الأسبوعي بعض القصص، إضافة الى كرمها في إعارة بعض الكتب الحديثة التي تصل إليها وكنت حريصاً على إعادة ما استعير منها رحمها الله إضافة لذلك كان سوق السراي بالنسبة لي وأنا طالب ثانوية ثم جامعة عالماً مفتوحاً إذ هو سوق الكتب والمكتبات آنذاك، ولم تكن في شارع المتنبي أنذاك سوى المكتبة العصرية لمحمود حلمي وبعض المكتبات ثم دخلت مكتبة المثنى المتنبي بقوة وجلبت معها عدداً من المكتبات، وقد عقدت مع مجموعة من أصحاب المكتبات فيها علاقات صداقة، بدأت بالكتاب وانتهت به.

كنت اشتري ما يساعدني في دخلي البسيط كطالب ثم محرراً في جريدة (الناس) قبل حركة ١٤ تموز وجريدة (الاستقلال) ومجلة (الوادي) بين عامي ٥٩–٦٠.

– مثل كثير من النقاد بدأت قاصاً ثم تحولت الى ناقد، وأعتقد أن كتابك الأول (في القصة العراقية) الصادر عام ١٩٦١ يوحي ببداياتك،هل يوحي بذلك لأنك لم تستطع الأمساك بناصية القصة كمبدع، أم لأن حاسة النقد كانت أقوى؟

• لماذا تسمي (النقد) حاسة وهو (ملكة) تنشأ عن خبرة وتجربة وطول أناة واستشراف و(تفكيك) للنص موضع النقد؟

كتبت النقد وأنا أكتب القصة وكانت البدايات في الصحف العراقية في الخمسينيات والستينيات إضافة لمجلات(الشهر) المصرية) و(القصة) السودانية و(الأديب) و(الآداب) و(المعارف) البروتيّات.

ولقد نشرت القصص لا في الصحف المحلية فقط بل في مجلة (الآداب) التي كانت القصة فيها خاضعة للبحث وتقويم النقاد لكني وجدت النقد

أقرب الى اهتماماتي.

ثـم أن كتابي(في القصـة العراقية) الذي صـدرت طبعته الأولى عام ١٩٦١ عن مطبعة اتحاد الأدباء العراقيـين أيامها جاء ثانياً بعد كتابي القصصـي الأول (أناعاطـل وقصـص أخـرى) الـذي صـدر عـام ١٩٥٨ وهـو يضـم مجموعـة من القصـص الأولى لي وقـد كتب عنه الكثير من الأصـدقاء في بغداد وبيروت أمثال موفق خضـر وأحمد فياض المفرجي وسـمير تنير وفاضل السباعي وسواهم في الصـحف المحليـة وفي مجلتـي (الأديـب) و(الآداب(.

لم أنقطـع عـن كتابة القصـة تماماً لكنها أضـحت الأهتمام الثاني بعد النقد والبحث الفولكلوري

– الناقـد الراحل د.نجم عبد اللـه كاظم يعد كتابك هذا من بين كتب أخـرى هي العلامات الأولى بين كتب أخرى لبداية النقد في القصـة العراقية...ما تعليقك؟

• الاستاذ الدكتورنجم عبد الله كاظم رحمه الله لم يقـل ذلـك فقـط بل عد جهـدي النقـدي من جهد رواد النقـد الأدبي في مجال القصـة العراقية وله شـكري على موضـوعيته التي يفتقد إليها الكثير من الدارسين الذي يتغافلون عن هذا الجهد.

تاريخيـاً يعد كتابي هذا الجهد النقدي الثاني بعد كتاب(القصـص في الأدب العراقـي) للدكتور عبد القـادر حسـن أمين الصـادر عـام ١٩٥٥، قبل ذلك لم يكن هناك كتاب نقدي واحد في السرد العراقي ولـك أن تحكـم علـى ذلـك إذ هوجهـد شـاب في الخامسة والعشـرين لإصدار كتاب نقدي متكامل في القصة العراقية.

وقد اسـتمر هذا الجهد رغم العواصف السياسية والحياتيـة، حيـث جمعت ما توافر من دراسـاتي النقديـة الجديـدة وأنـا في عزلتـي في مدينـة (الدغـارة) لأصـدر كتابـي النقـدي الثـاني عـام ١٩٧٣ (الوجـه الثالـث للمـرآة).. كان ذلـك وقـد جرت مياه جديدة في النقد القصصي العراقي... ظهـر جهد أسـتاذنا الطاهر وجهد الأسـاتذة كاظم صـالح وأنور الغسـاني والدكتور عبد الاله أحمد وفاضـل ثامـر ومؤيـد الطلال وياسـين النصـير وسواهم،وصـار للنقـد القصصـي موقعـه المهـم وسط الدراسات الثقافية

– عد الكثير إنـك مختص بالفولكلور والتراث، ما الذي أخذك الى هذا الطريق؟

• في عام ١٩٥٧ كتبت دراسـة أولية عن التراث الشـعبي العراقي في عدد شـهر مايس من مجلة (الأديب) وقد لقيت الدراسة أهتماماً ومناقشة من الأساتذة غازي الكنين وعبد الله الجبوري وأحمد فياض المفرجي.

قبـل ذلك وفي جريدة (المجتمع) الأسـبوعية التي كان الدكتور صـلاح نيازي يشرف على صفحاتها الثقافيـة كتبـت عـن تجـارب المقـام العراقي،ثـم واكبت إصـدار مجلة (التراث الشـعبي) ونشرت بعضـ المقالات والحكايـات الشـعبية حتى بدأت العمـل فيها متأخراً عـام ١٩٨٥ حتـى عام ٢٠٠٣ ولا زلت عضواً في الهيئة الأستشارية لهذه المجلة الرصينة.

ما أخذني الى التراث الشـعبي والثقافة الشـعبية أن هـذا العلـم هو علـم الحياة بمختلـف مراحلها وإيقاعها المتنـوع منذ لحظة الولادة حتى الوفاة. الـتراث الشـعبي دراسـة كل شـيء في التشـكيل الإنسـاني... العادات واللغـة والأحلام والملابس والمعتقـدات وال٥٤ فقـرة متلاحقـة تعني الحياة الإنسـانية.. فهل هناك أعظم من ذلك وأجمل؟ وما الضـير أن يكون الكاتب متنوع الإهتمامات شرط أن يقدم الجديد الحيوي؟

– أنـت مـن جيـل عاصـر تحـولات الأدب والنقـد في العـراق منذ منتصـف الخمسـينيات...مالذي تقوله عن المشـهد الأدبي في العراق لو قارنته مع منتصف الخمسينيات؟

• هـذا سـؤال محـرج ولكنـي مضـطر للإجابة عليـه كان القاص عبد الله نيازي يسـتدين سـلفة الحكومـة ليطبـع مجوعتـه القصصـية، وكان لاينشـرها إلا بعد أن يحصـل على مباركة زملائه أمثـال محيـي الدين إسـماعيل وفـؤاد الونداوي وغيرهمـا كان عبد الملك نوري يدخل في نقاشـات مهمة مع فـؤاد ونهاد التكرلي،وكانت مقهى الواق واق وبيوت السـادة نزار وجواد سـليم وخلدون الحصـري وعدنـان رؤوف وسـواهم مقـرات لنقاشـات معمقة وجادة في أدب القصـة والمسرح والفنون التشـكيلية كانت تجمعـات أخرى لغائب فرمان وعبد المجيد الونداوي وحسـين مردان تتم في جريدة(الأهالي) ومشارب أبي نؤاس.

في مقاهـي العاصـمة ومنتدياتهـا كان الشـباب يحضـرون جادين، يسـتمعون الى الجيل الأكبر بكل أحترام رغم ضيقهم أحياناً بما يطرحون لكن العملية الثقافية حاضرة بشكل حيوي ومتفتح.

اليوم رغم نشـاطات اتحاد الأدبـاء الرائعة وجهد أسـاتذة النقد والدراسـات الثقافية في الجامعات العراقيـة في عقـد المؤتمـرات المهمة التي تسـهم وسـائل الاتصـال في نقلها،أجد النشـاط الثقافي شاحباً متشظياً وكأننا نعيش في جزر متباعدة.

هـذه ليسـ كارثة ويمكـن ترميمهـا لكـن الكارثة الكـبرى هو وجـود كتّـاب الأجرة الـذي يكتبون القصـة والنقد والدراسات بأسماء غيرهم،وتقوم دكاكين الطبع بالتسويق اللافت.. مقابل دولارات معدودة!

– أنتقلـت بحكـم عمـل والـدك وعملك أيضـاً الى مناطق مختلفـة من العراق..مالذي أضـافته إليك هذه المناطق؟

• أنا شـارب الماءين... مـاء دجلة والفرات،وماء الغراف أيضـاً، حيث تقع مدينـة الحي التي كنت أزورها لوجود بعض أصدقائي فيها.

عشت طفولتي في الناصرية والشامية والسماوة وعفـك وأبوصـخير،وعدت مدرسـاً في ثانويـة الصويرة ثم معتقلاً في الكوت في سجنها.

عند إطلاق سـراحي نقلت بأمر الحاكم العسـكري العـام لأمر تربية لـواء الديوانية عام ١٩٦٥ التي تكرمت بوضعي في ثانوية الدغارة،وفي الدغارة اسـتقرت عائلتـي الصـغيرة وأصـبحت مديـراً لمدرستها مدة ثماني سنوات تفرغت خلالها للعمل التربـوي الإداري ولكتابـة الدراسـات النقديـة المعمقـة التـي كانـت تنشـر في مجـلات (الآداب) و(الأقـلام) حتى ظهـر كتابي النقـدي الثاني عام ١٩٧٣ (الوجـه الثالـث للمرآة)في وقت اشـتغلت فيه علـى دراسـة الاعراف العشـائرية وسـواني العشـائر بمسـاعدة الشـيخ عبد الأمير الشـعلان شيخ آل شبانة وعشائر الأكرع (بعد الشيخ موجد الشـعلان رحمـه اللـه) الـذي كان دليلـي الهـادي إضـافة الى مسـاعدة مـن يـزورني مـن وجهـاء العشـائر المجاورة مثل المجرولين والهلالات وآل عمر والسادة العواودة.

وعندما نشـرت دراستي عن (السواني في عشائر الدغارة) في مجلة التراث الشعبي كان ذلك تمهيداً للعمـل الأكـبر عـن سـواني العشـائر في العراق والعـالم العربـي، وكان ذلك أساسـاً لمـا قدمته في مؤتمـر التراث الشـعبي في المملكـة الأردنية عام ٩٤ مـن بحـث مطـوّل عن (القضـاء العـرفي عند العـرب) وهو أسـاس الكتـاب الـذي تكرمت (دار المـدى) بطبعه حيث أهدتني عشـرين نسـخة من الكتاب...فقط!

في هـذا التجـوال الذي اسـتمر حتى عـام ١٩٧٣ نشـرت الكثير من البحوث عن الحكاية الشـعبية وتواريـخ المـدن العراقيـة المتعـددة وطقوسـها الشعبية.

أنا ممتن لتلك الفترة الذهبية الغنية التي جعلتني اهتم بالمأثور الشعبي العراقي وبنيته وأصوله هذا ما أضافت لي تلك المدن وأهلها الميامين.

– ماذا تقول عن النقاد في تلك المرحلة؟

إنها ليست مرحلة بل مراحل ومازال تطور العمل النقدي حاصلاً ضـمن التيارات الجديدة وما زال الدرس النقدي يتسع للكثير.

– لم نسألك عن عملك الإذاعي والتلفازي؟

ذاك حديث يطول ولي في الحقلين أعمال وبرامج ومسلسلات لهما سحرهما الخاص ولهما مكانهما المؤثر.

–بعـد هـذه الرحلـة الطويلـة مـع الأدب والثقافة بشكل عام..هل تنظر الى الوراء بغضب أم بكثير من الانحناء؟

لسـت اوزبـورن ولـن أنظـر بغضـب الى الوراء فمـا جرى قد جرى وقد خسـرنا الكثير من سـني حياتنا، ولكنـي أنظر الى سـنوات العمر الذاهبة بكثـير مـن الحسـرة لأني كان يمكـن أن أقـول الأفضل والأكثر تأثيراً وجمالاً.

• نشر في صحيفة المدى عام ٢٠١٩

عمنا أبا شهرزاد

صفاء جبار

كنت أراهن على أن تكون الشاهد على أجيال ثقافتنا وتحولاتها، وأنت الحاضر فيها في كل عهودها منذ أواخر الخمسينات، الخائض في أدق تفاصيلها والمترفع عن صغائرها والمتجنب لصداماتها وانقلاباتها الراديكالية، والمتعامل معها بروح متسامحة عمادها التواضع والبساطة وسلاحها السخرية. فأنتم، كما اعلم، من عائلة معمّرة، وكنت أظن انك ناجح عبر تسامحك وطيبتك ومحبتك التي تفيض بها على الجميع، في تجاوز كدرها وكربها وآلامها. لم أحدس أي حزن نبيل كنت تخفيه تحت ستار بسمتك وسخريتك وتسامحك، حتى رأيته يتفجر في أواخر حياتك بعد رحيل شريكة حياتك وما طال البلاد والعباد من مآس وخراب.

يا ترى كيف سيلقاك موسى كريدي، صديقك الذي اعتاد أن يماحكك ويتهمك بالتسرع في أحكامك وعواطفك واهتماماتك الواسعة؛ وأنك مثل طائر لا يوّكر في مكان طويلا، إذ سرعان ما تحلق بسرعة وخفة بحثا عن مكان آخر. أخاله يقول لك: ألست محقا ها أنت تتسرع حتى في موتك!!

كنت أراهن على طريقتك في الحياة، وقدرتك الفذة على تسفيه تراجيدياتها والقفز بين فخاخها بخفة وسرعة محلقا بجناحي التسامح والمحبة والتنقل بين فروع المعرفة والثقافة والإنتاج الإبداعي والإعلامي. وعلى العكس من الكثيرين منا ممن يلقون أنفسهم في بحر الكآبة وفي ذاك الشعور المأساوي الذي تخلفه تلك الرغبة (المستحيلة) في الكمال والإتقان؛ ويحرقون أنفسهم بلهب هذا النزوع الذي لا يقاوم.

كنت ستكون شاهدا مثاليا على ثقافتنا بكل أجيالها التي عايشتها وخبرتها عن قرب، كما هي الحال مع جيل الستينيات والأجيال التي تلته حتى جيل الكارثة، الذي رأيته وتعرفت عليه عن قرب ولم تكن، كعادتك، تبخل عليهم بنصيحة أو متابعة أو تعليق.

كان لي الشرف في العمل بمعيتك والتتلمذ على يديك في غير مجال من اهتماماتك المتعددة؛ لن أنسى ما حييت استقبالك لي وحنوك عليّ واحتفاءك بي عندما جئت هاربا من جحيم العمل الإعلامي لاجئا إلى التراث الشعبي (قلت لوكيل الوزير عند طلب نقلي حينها وبصراحة وبقسوة لا اعرف كيف تحملها!! لم يبق في ثقافتنا بعد خراب التسعينيات سوى التراث الشعبي)؛ فاخترتني أنت مديرا لتحرير مجلة التراث الشعبي التي كنت ترأس تحريرها، وتشرفت بالعمل معكم والنهل من محبتكم ومعرفتكم، أنت وبقية الزملاء الرائعين في الفريق الذي كنت تديره بقوة المحبة.

عمنا (كما يحلو لك أن نخاطبك) وأستاذنا، لم أكن أتخيل أنني يمكن أن أكون في هذا الموضع وأكتب في رثائك؛ كان لدي يقين بأنك ستكون الشاهد علينا وعلى كل ما مر من أجيال ثقافتنا الأخيرة وتظل تغمر الجميع بتعليقاتك المحبة والطريفة والحانية؛ وكنت أراهن على قوة الحياة فيك وأنت الباسم أبدا، عبد الحميد حمودي، وعلى فيض المحبة والطيبة والتسامح في روحك العذبة.

ربح موسى كريدي رهان السرعة وفيض محبتك قربه الآن، وخسرنا نحن تمهلك وظلك العالي الذي كنا نستفيء به. "وداعة الله" عمنا الجليل وأستاذنا الغالي.

باسم عبد الحميد حمودي.. وفن السيرة الشعبيّة

د.علي حداد

ما كان لدرس (السيرة) أن يكون حاضراً بقوّة بين دراسات الأدب الشعبي العراقية (لولا جهود الأستاذ (باسم عبد الحميد حمودي) ودأبه في الكتابة ضمن هذا النوع الأدبي، واشتغاله على تفصيلات بعض السير الشعبية وتوثيقها، وذلك هو الجانب الأوفر من كتاباته في الأدب الشعبي التي بدأها منذ منتصف خمسينات القرن الماضي، التي نشر فيها بعض مقالاته عنه في مجلات عراقية وعربية،

كانت أولاهن مجلة (الأديب) البيروتية، التي نشرت له في مايس/ أيار ١٩٥٧م، دراسة بعنوان (الأدب الشعبي العراقي).

كان اتجاه الأستاذ (باسم عبد الحميد حمودي) في مرحلة من نشاطه النقدي نحو السرد وكتاباته في نقد القصة لتوثيق صلته بالسرد الشعبي، كونها أمدّته برصيد معرفي، لا نشك في أنه قد جرت مناقلته عنده إلى حيث يستفاد من أفكاره وآلياته الحديثة في تأمل السرد العربي القديم، ولاسيّما (السيرة الشعبية) التي تبرز فيها مؤثرة عناصر (الراوي) ووجهة النظر التي يترسم للسرد مساره من خلالها، و(شخصية البطل)، وسيرورة (الحدث) وأنماط تجسده. وكلها مما قدّمت الدراسات السردية الحديثة فيه نظرياتها واتجاهات درسها التي أنتجت علماً معرفياً قائماً بذاته هو (علم السرد).

عاد الأستاذ (باسم عبد الحميد حمودي) في أوائل السبعينات ليكتب عن الأدب الشعبي، وينشر دراساته عنه في الصحف والمجلات العراقية، ولاسيّما مجلة (التراث الشعبي) التي تواصل مع هيأة تحريرها منذ تأسيسها وعبر العقود اللاحقة من سني إصدارها، لينتقل لاحقاً إلى العمل رئيساً لتحريرها مدة لعلّها الأطول بين من شغل تلك المسؤولية.

تكرس الجهد الحصيف لدى الأستاذ حمودي، في مجال السيرة الشعبية منذ كتابه (الزير سالم) الذي كان أول ما صدر له في مجال التراث الشعبي عام ١٩٨٩م، ليتلوه بعده بسنوات كتابه الآخر (تغريبة الخفاجي عامر العراقي)، ثم كتابه الثالث (التراث الشعبي والرواية العربية الحديثة) الذي ماهى فيه بين قراءاته في السرد العربي الحديث وما تكشف فيه من مضامين التراث الشعبي.

ولعلّ كتابه (سحر الحقيقة) الصادرة طبعته الأولى سنة ١٩٩٩م هو الكتاب الذي يقدّم جلياً مشهد القراءات التراثية الحصيفة عند هذا الباحث الجليل الذي واكب التراث الشعبي بمختلف أجياله، فقد تضمن . كما ورد في مقدمته: "سياحة في فكر التراث الشعبي، محطات ذاكرة، وثقافة تفصيلية وعامة، ومقومات أسطورة، وحكاية وسيرة. بدأت بالدراسات في هذا العالم الغريب المعجز، ووقفت عند شخصيات فولكلورية بعينها... ثم عرضت لمجموعة الكتب الخاصة بهذا النوع من العلوم الإنسانية الذي نعدّه مفتاحاً لكل سعي إنساني نحو الحقيقة، وكم للحقيقة من سحر أخّاذ إذا كانت مرتبطة بالفكر الجمعي". (سحر الحقيقة، ص٥).

لقد تضمن الكتاب جهود الأستاذ (باسم عبد الحميد حمودي) في دراسة حقول التراث الشعبي المختلفة وعلى مساحة من سنوات اشتغاله المتواتر الخصب. وما يستوقفنا منه هنا جهده الرصين في مجال (السيرة الشعبية العربية) التي يصفها بـ (الملحمية)، ويرى أنها "عبرت. بمختلف نصوصها وروایاتها. عن الوجدان الشعبي، وعن التوق للحرية، وتأكيد الذات فردياً وجماعياً" (سحر الحقيقة، ص٢٧).

وتتأتى فاعلية السيرة الشعبية. طبقاً لرأي الباحث، وهو يقرأ سيرة (سيف بن ذي يزن) التي دوّنت خلال القرن الخامس الهجري. في قدرتها على أن تخاطب البعد العاطفي للمجتمع الشعبي العربي "فقد كان الوجدان الشعبي بحاجة إلى صيغة حلمية موحدة، ترمّم ما تبعثر، وتوحد ما تجزأ على صعيد الواقع" (المصدر نفسه،ص٢٧).

وإذا كان الباحث قد تناول بالقراءة أكثر من سيرة قديمة تداولتها البيئة الشعبية العربية في مراحلها المختلفة، فلعلّ واحداً من جهوده المعطاءة توجهه نحو شخصيات في البيئة الشعبية العراقية قريبة العهد، ولكنها دخلت في تمثلات الوجدان الشعبي حتى صارت "تروى عنها الحكايات التي تقرب من الأساطير" (المصدر نفسه، ص٢٨٢)، تلك الشخصيات التي سعى إلى لمّ شتات أخبارها وتفصيلات من سيرتها، صانعاً مشهداً سردياً مخبراً عنها، كالذي فعله مع شخصية (حمد آل حمود) الذي عاش خلال القرن الثامن عشر الميلادي شيخاً لقبيلته (الخزاعل). وكان في صراع دائم مع الولاة العثمانيين، ليصنع تاريخاً شخصياً لافتاً، ويمسي مثالاً للرجل الفارس والحكيم، حتى ليرى الباحث أن "الهالة الأسطورية التي أحيط بها هالة يستحقها، وإن كانت التفاصيل التأريخية لا تتطابق تماماً مع الحكايات، وليس لها أن تتطابق، بل أن تشي بجزء من تفاصيل حياته تريدها الحكاية الشعبية وتقصدها لغاية حكائية، أو لاستجلاء حكمة أو موعظة" (المصدر نفسه، ص٢٩٢).

ولاشك في أن مسعى تدوين سيرة خاصة ببعض الشخصيات التي عاشت في أزمنة ليست بعيدة من زماننا. سواء أكانوا من الفرسان أم الحكماء، أم الشعراء. جهد ثقافي مهم، لاسيّما حين لا يتأسس على نزعة التدوين التأريخي المقننة، بل عبر إعادة إنتاج ما تبنته البيئة الشعبية وتداولته، وأضفت عليه من فعل خيالها ونزوعها نحو الغرائبي والمثير من الوقائع والسمات ما يجعل تلك السيرة ممكنة الانضواء في الفضاء الشعبي المتسع لعدد كبير من (سير) الشخصيات المشهورة ومن مختلف مراحل التأريخ العربي وعصوره.

عرّاب الثقافة الشعبية.. وداعاً

زيد الحلي

في اليوم الاخير من الاسبوع المنصرم، خسرنا شخصية ثقافية مهمة، كانت شاهدا تاريخيا على عقود من الزمن، عملت بجد لنشر المعرفة الثقافية والوعي الفولكلوري..

إن إرث الفقيد الاستاذ باسم عبد الحميد حمودي الذي توفي عن عمر بلغ سبعة وثمانين عاماً، سيظل حجر الزاوية في فهمنا للتاريخ العراقي المعاصر، وتبقى مؤلفاته ودراساته مرجعًا هامًا للأجيال القادمة في رحلة استكشافية، عميقة الجذور، تسهم في إثراء المعرفة التاريخية، وتصحيح الأفكار الخاطئة. فحين نقرأ او نتابع خطوات وعطاءات استاذنا في فهم الحياة العراقية، نلاحظ اصراره على تقديم صورة شاملة عن الوطن، وإسهامه الحضاري وأثره في الوعي الإنساني، مؤكدا إيمانه العميق بأن مواطني العراق مهما بلغت اختلافاتهم المذهبية، متحدون في الجوهر.

لم تكن المساهمة الرئيسة التي قدّمها ابا شهرزاد مجرد مساهمة فردية في الاهتمام والكتابة الفولكلورية، بل كانت برنامجاً جديا للدراسة التاريخية المعاصرة لحياة الناس وعاداتهم الاجتماعية في بغداد والمحافظات، ولاسيما في القرنين المنصرمين، وكان من الجيل الذهبي بهذا المجال، حيث كان يرفض بصلابة اختزال تاريخ العراق بما كتبه " بعض " المستشرقين من ذوي القلوب المريضة لأهداف ومصالح على قياس الترويج الفكري والقيمي والعنصري المغلوط، مؤكداً بهذا الصدد أن "التاريخ ليس أرض حياد، بل هو موضوع الحقيقة والواقع ".. لذلك نجده كرّس حياته ومسيرته الثقافية لخدمة الفولكلور العراقي بمختلف صوره خدمة لتاريخ الوطن الذي اكتشف فيه طاقة إيحائية ورمزية كبيرة على الصعيد الانساني والثقافي.. وقد تبحّر الراحل في سير الشخصيات العراقية في السياسة والثقافة، وكرّس حياته وأبحاثه للغوص في أعماقها وصيد جواهرها..

لقد تميّز الاستاذ باسم، في كتاباته واطروحاته وحواراته بالمزج بين المدرسة القديمة للمؤرخين المحليين، مستعينا بكونه ابن هذه الثقافة، فاستفاد كثيرا من الموروث الشعبي، وبمناهج البحث التاريخي الحديث، كونه حاصل على شهادة قسم التاريخ في كلية التربية عام ١٩٦٠.

للراحل كتب عديدة توزّعت بشكل أساس بين الادب الفلكلوري والتراث والنقد القصصي والاعلام والتاريخ المعاصر، ولا زالت مؤلفاته القيمة بين أيدينا تمضي معنا، ونمضي معها في رحلة التاريخ المعاصر التي لا تنتهي، لغناها وتنوعها، وقد أضحت مرجعا علميا وأكاديميا مهما للوقوف على حقائق تاريخنا بموضوعية ورصانة..

رحم الله كاتبنا الاثير ابا شهرزاد..

باسم عبد الحميد حمودي يعانقُ سحر الحقيقة

عادل الصويري

لحظاتٌ من الحزن المسيج بشفافيَّة باسم عبد الحميد حمودي، اجتاحتني وأنا أتجولُ بين النصوص التي ارتجلت حزنها العفويَّ على رحيله الهادئ، تاركاً الندوب على الوجوه التي تتصفحُ الذكريات مع واحد من أشف الكائنات وألطفها، وأكثرها هاجساً ثقافياً وعقليَّة نقديَّة موسوعيَّة في مجالات القصة القصيرة والرواية والتراث الشعبي.

وفي مجمل أعمال حمودي؛ كان التركيز على قضيَّة مهمَّة شغلت بال المهتمين بالنقد وقرّاءه وهي جوهر الكتابة النقديَّة بين كونها راصداً لأسلوب النصّ الذي يتناوله البحث، أو كونها إعادة صياغة للنص وفق منهج معين، فضلاً عن الصلاحيَّة الزمنيَّة للدراسة التي أخذتْ على عاتقها تفكيك النص، وفك شيفراته اللغويَّة، وشرح الأنساق التي حرّكت كاتبه.

وبمرات عديدة، نوّه باسم حمودي عن أثر نشأته الثقافيَّة، وانعكاساتها على تجربته، حيث الوالد الصديق لأسماء إبداعيَّة كبيرة ومهمَّة في المشهد العراقي، ومكتبة البيت الكبيرة والمتنوعة التي شكّلت الملامح الأولى لتنوّعه المعرفي، وحرَضته على الغوص في مكامن اللذة التأمليَّة أثناء فعل القراءة. هذا الانعكاس يمكن اكتشافه بسهولة من خلال العناوين المتنوعة لإصداراته ودراساته مثل: "الناقد والقصة دراسة تحليليَّة، والسحر ذلك العالم الغامض، والقضاء العرفي عند العرب، والوجه الثالث في المرآة، وسحر الحقيقة، وتغريبة الخفاجي عامر العراقي، وفي دراما قصيدة الحرب، والهامش في التاريخ العراقي"، فضلاً عن عشقه للكتابة في الفولوكلور والموروث الشعبي حيث أصدر فيه "شارع الرشيد" و "عادات وتقاليد الحياة الشعبيَّة العراقيَّة" و"السيرة الشعبيَّة والذات العربيَّة".

كان الراحلُ مدافعاً صلباً عن التراث الشعبي بوجه الهجمات الاستعلائيَّة التي مورست عليه؛ لأسباب تتعلق بالتوجهات السياسيَّة القوميَّة الضيقة، مبيناً أهميَّة ما تركه التراث في الذهن داعياً إلى الاهتمام بإعادة صياغة هذا التراث؛ لأهميته في الحياة المعاصرة، حتى مع مستجداتها المتسارعة، رافضاً أي فكرة للقطيعة مع التاريخ؛ لأنَّ الدراسات الاستراتيجيَّة المتعلقة بعلم المستقبل، بحاجة إلى أفكار واعية، تقف بوجه التحديات المعاصرة التي تعملُ على قلب المعادلة الإنسانيَّة. وهذه الأفكار الواعية يشدد باسم حمودي على جدّيتها في مخر عباب الأحداث التاريخيَّة؛ وذلك لامتداداتها المتصلة بالحاضر؛ ومساهمتها في إحداث التحولات الكبيرة في خصوصيَّة المجتمعات البشريَّة ومكوناتها الهوياتيَّة، مؤسسةً شعوراً يتمركز في الذهنيَّة الجمعيَّة؛ لأنَّ بعض الكُتّاب يعملون على ثيمة القفز على الهويَّة من خلال منطق يشيح بوجهه عن التأريخ وتمثلاته، والذريعة هي الإطلالة على الحضارة من "شرفة التجربة الإنسانيَّة" معتقداً أنَّ الخصوصيَّة سجنٌ مزعوم. هؤلاء يستشهدون بالتجربة الأوروبيَّة التي شهدت حروباً تدميريَّة، ووصلت إلى ما وصلت إليه من تقدم بعد خروجها من الجحيم التاريخي، بينما راح الغربيونَ يسوِّقون للقصص الموجودة في موروثنا بشكل أكثر جديَّة منّا نحن أصحاب الشأن، وهو ما يراه حمودي نكوصاً كبيراً ومؤسفاً.

وباسم حمودي في دفاعه عن التراث والتاريخ يتوافق مع محمد عابد الجابري في أنَّ أيَّة نهضة عربيَّة إسلاميَّة، سيكون من المستحيل عليها أنْ تتحقق من دون الانطلاق من التراث العربي الإسلامي، والذي يتمثل في العقيدة والتشريع واللغة والأدب وعلم الكلام، فما الذي سيبقى من الهويَّة وخصوصيتها في حال الانفصال عن كل هذه القيم؟ الأفضل أنْ تكون لنا تصوراتنا واستقراءاتنا الخاصة بتاريخنا؛ حتى نؤصل بها وجودنا وثقافتنا، ونمهد لمستقبل مضيء من دون الاتكاء على تراث آخر أو الانتظام فيه بشكل عشوائي.

هكذا كان باسم عبد الحميد حمودي الذي تركنا نعومُ بلوعة غيابه واستذكاره الذي يمثل مسؤوليَّة كبيرة تجاه أحد الرائين الكبار، والشاهدين على التحولات التي حصلت على المجتمع العراقي وثقافته. هذا الاستذكار هو جزءٌ ضئيلٌ من الاحتفاء بأحد مؤسسي العقل المحتفل بالمعرفة.

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:

www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

باسم عبد الحميد حمودي.. فيضُ العطاء الدائمْ

قاسم خضير عباس

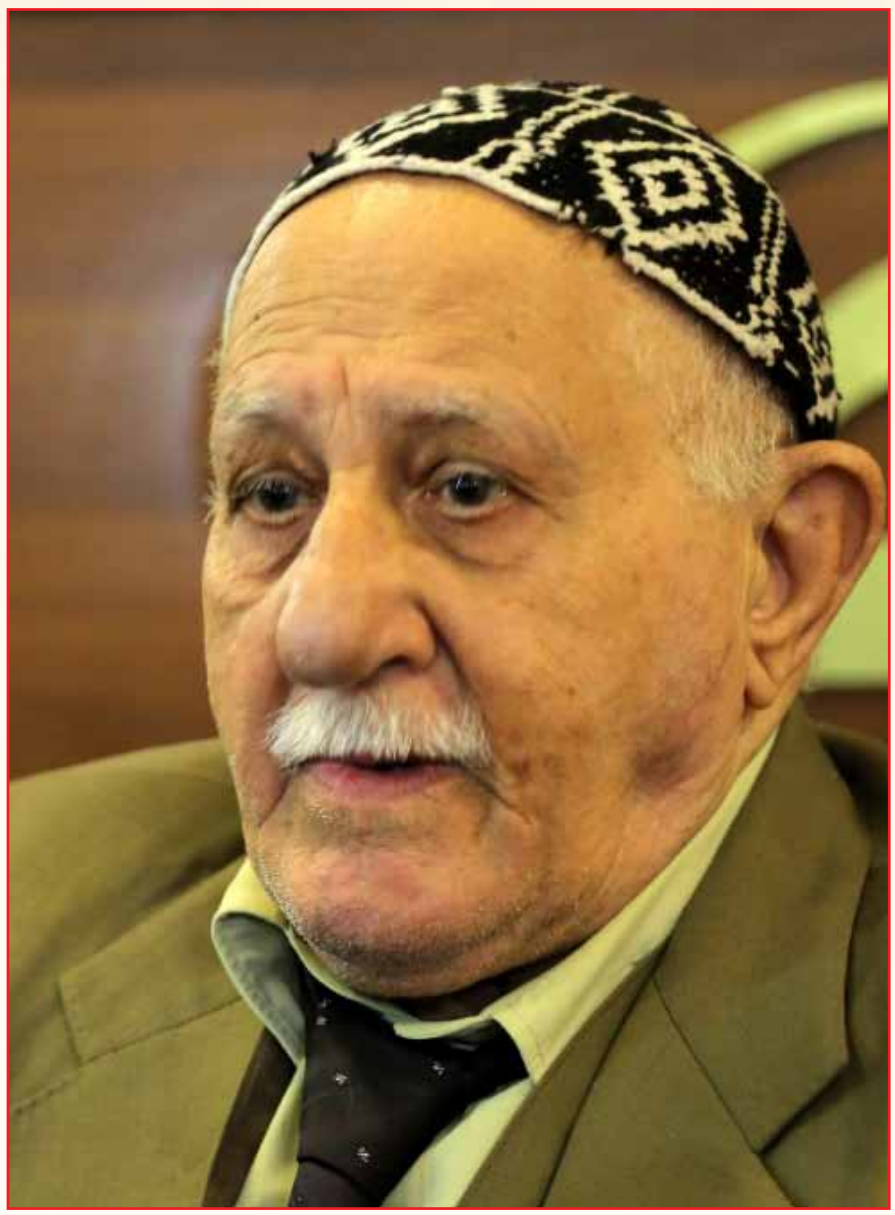

في بداية السبعينات من القرن الماضي، كنت طالباً في كلية الآداب جامعة بغداد، تعرفت على الأديب القاص باسم عبد الحميد حمودي، من خلال قراءتي لمجموعته القصصية الأولى (أنا عاطل) وعرفت في حينها أنه أحد خريجي قسم التأريخ في الكلية نفسها.

بعدها تعرفت عليه باحثاً فولكلورياً من خلال أطلاعي على دراسة قيّمة نشرت لهُ في مجلة التراث الشعبي عام (١٩٧٢) عنوانها: (السواني عند عشائر الدغارة) والسواني هي مجموعة القوانين والأعراف التي تحكم سلوك أفراد العشيرة وعلاقتهم بالعشائر الأخرى. ومن هذا المقال ظننتُ أن الرجل من مواليد وسكان الدغارة التابعة لمحافظة القادسية (الديوانية سابقاً) لاكتشف لاحقاً، أنه من مواليد بغداد/ الكرخ. وكتابته عن (السواني عند عشائر الدغارة) جاءت لكونه كان مدرّساً ومديراً لثانويتها. وعرفت أيضاً أن والده كان مديراً لإحدى مدارس (أبو صخير) القريبة من النجف الأشرف والتي تلقّى الباحث الجليل تعليمه الابتدائي في إحدى مدارسها. وعرفت أيضاً أن الباحث ووالده، قد تنقّلا في عملهما التدريسي في أغلب محافظات الجنوب والفرات الأوسط، ولهما ذكريات مع سكان وعشائر تلك المحافظات، هذه الذكريات كان لها الأثر الكبير في عمل الباحث التوثيقي والبحثي ودراساته عن تلك المجتمعات والتي تمثّلت بدراسته عن (السواني عند عشائر الدغارة) وكتابه المعنّون (القضاء العرفي عند العرب) بداية الثمانينات من القرن الماضي. جمعتنا أروقة دار الجاحظ للنشر الواقعة في شارع الجمهورية (الخلفاء)، هذه الدار كانت معنية بإصدار المجلات الثقافية، حيث كنت أعمل محرراً في مجلة التراث الشعبي، وكان مدير الدار في حينها القاص الراحل (موفق خضر) وتولى الأستاذ باسم عبد الحميد، إدارتها لفترة وكالة الى جانب عمله في مجلة الأقلام.

في الحقيقة أنني كنت معجباً بهذا الرجل الذي تذكّرني نظارته السوداء، بنظارة عميد الأدب العربي الدكتور (طه حسين) الى جانب ابتسامته العريضة التي يقابل بها جميع من يلتقي بهم. كان شعلة من النشاط والإنتاج الثقافي، محبوباً من الجميع ويسعى في خدمة الجميع، وأعتقد جازماً بأنه أمتاز عن غيره من الأدباء والمثقفين، بأنهُ الوحيد الذي لا أعداء لهُ. أخلاقهُ أخلاق العلماء. أخذ بأيادي الكثير من الأدباء الشباب وقوّم تجاربهم وأسهم في اكتشاف مواهبهم، ولاسيّما أنهُ كان ناقداً أدبياً، بل من أبرز النقّاد في الساحة الأدبية العراقية. وتولى رئاسة تحرير مجلة الأقلام، التي تعنى بالأدب الحديث. وكذلك رئاسة تحرير مجلة الثقافة الأجنبية التي تعنى بالثقافة والفنون بالعالم. وكذلك كان سكرتير تحرير مجلة الروّاد التي تُعنى بكتابات الروّاد. وتولى رئاسة قسم النشر في دار الشؤون الثقافية. في منتصف الثمانينات من القرن الماضي، تولى رئاسة تحرير مجلة التراث الشعبي التي تُعنى بالدراسات الفلكلورية والتي نشر عبرَ صفحاتها العديد من البحوث والدراسات الفلكلورية والتي أبرزها على ما أذكر:

- أسطورة تموز وتأثيرها على الشعوب الأخرى
- الأعياد عبر الزمان والمكان
- الآلات الموسيقية التقليدية في السودان
- ألف ليلة وليلة من أصوله العربية
- أهل بغداد في مواجهة الغزاة والطامعين
- أوراق من تأريخ العراق
- البلدانيات العراقية في مجلة لغة العرب
- تنوع التراث الشعبي
- الحفاظ على إنسان الفلكلور
- حمد آل حمود بين التأريخ والتراث الشعبي
- حملة الحبوبي ضد الإنكليز بين مذكرات الشرقي وشعر الشبيبي
- الخفاجي عامر العراقي (١-٤)
- الديوانية
- الرواية العربية والتراث الشعبي
- الرواية وألف ليلة
- السحر الأسود
- السيرة الشعبية والذات العربية وغيرها الكثير.

إضافة الى إسهاماته التراثية المنشورة في مجلة البحرين الثقافية ومجلة الحداثة البيروتية ومجلة الرافد الإماراتية. فيما جمعنا التراث الشعبي للكتابة لصفحة ثقافة شعبية في جريدة الجمهورية البغدادية، هذه الصفحة التي كان يشرف عليها الشاعر المبدع عبد الزهرة زكي، وكنا أنا والباحث باسم عبد الحميد حمودي، نعرف في هذه الصفحة بعلم الفولكلور ومحاوره الأساسية، كذلك شكّل الأستاذ عبد الحميد في مجلة التراث الشعبي (وحدة دراسة ألف ليلة وليلة) في عقد التسعينات، هذه الوحدة تُعنى بكل ماكتب عن ألف ليلة وليلة.

فيما كان للمجلة حضورها في الاحتفالات بيوم بغداد، هذا الحضور تجسد بإقامة ندوة بغداد للتراث الشعبي التي يتناول فيها لوناً من ألوان التراث الشعبي، كذلك إقامة المجلة ندوة عن الشعر البدوي. وكان للباحث حضور في أغلب المؤتمرات التي تُعنى بالتراث الشعبي الداخلية والخارجية وفي مجال التأليف في حقل التراث الشعبي نقرأ له المؤلفات الآتية:

١. التراث الشعبي والرواية العربية. الذي نال عنه جائزة الإبداع في النقد الأدبي.
٢. أبحاث في التراث الشعبي
٣. عادات وتقاليد في التراث الشعبي
٤. كتاب شارع الرشيد
٥. تغريبة الخفاجي عامر العراقي، صدرَ ببغداد عام ١٩٨٩ وأعيد طبعهُ في القاهرة عام ٢٠٠٠.
٦. ولعلّ أبرز كتبه الصادرة عام ٢٠٠٠ كتابه (سحر الحقيقة) فقد ضم دراساته المنشورة في مجلة التراث الشعبي.

كُرّم الباحث باسم عبد الحميد حمودي، بميدالية التراث الشعبي في لبنان، وكذلك كرّمته وزارة الثقافة الأردنية لقيامة بتحكيم جائزة الدولة الأردنية في حقل التراث الشعبي، وانتخب أميناً عاماً لرابطة التراث الشعبي للكتّاب العرب، لايزال الباحث باسم عبد الحميد حمودي، شلالاً من العطاء الأدبي واباستذكار اعمال الراحلالجليل لما قدّمهُ للعراق وثقافته

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"
عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون